أغاثا كريستي

عيّنة من الرواية

(للتصفح والاطّلاع)

الجَريمَة النّائِمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

أغاثا كريستي

الجَريمَة النّائِمَة

طُبعت للمرّة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٧٦

ترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسّون

الأجيال للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لرواية أغاثا كريستي
المنشورة أول مرة عام ١٩٧٦ بعنوان

Sleeping Murder

Copyright © Agatha Christie Ltd 1976

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنَع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL *Publishers*
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الرابعة
٢٠٢٠

الفصل الأول

البحث عن بيت

وقفت غويندا ريد على أرض رصيف الميناء ترتجف قليلاً. كانت أحواض السفن وأبنية الجمارك وكل ما يمكن أن تراه من إنكلترا يتموج صعوداً ونزولاً، وفي تلك اللحظة بالذات اتخذت قرارها، ذلك القرار الذي قُدِّر له أن يؤدي إلى مثل هذه الأحداث الخطيرة: لن تستقلّ القطار الذي ينتظر قاربها إلى لندن كما كانت تعتزم.

ما الذي يدفعها لصنع ذلك؟ لا أحد ينتظرها ولا أحد يتوقع قدومها. لقد نزلت لتوّها من تلك السفينة التي تَصِرّ في أثناء صعودها وهبوطها. كانت أياماً ثلاثة قاسية جداً عبر الخليج وصولاً إلى بلايموث، وكان آخر ما تريده هو ركوب قطار يتأرجح في صعوده وهبوطه أيضاً.

سوف تذهب إلى فندق، إلى فندق رائع ثابت راسخ يقف على أرض حقيقية صلبة، وستأوي إلى سرير لذيذ ثابت لا يصِرّ ولا يتمايل، وسوف تنام. وفي صباح اليوم التالي... نعم، يا للفكرة الرائعة! سوف تستأجر سيارة وتسوق ببطء دون أن تستعجل نفسها

عبر جنوب إنكلترا باحثةً عن بيت، عن بيت جميل خطّطت هي وغايلز للعثور عليه. نعم، إنها فكرة رائعة! وبهذه الطريقة يمكنها أن ترى شيئاً من إنكلترا، إنكلترا التي حدّثها غايلز عنها ولم ترَها من قبل، مع أنها -كمعظم النيوزيلنديين- تدعوها وطناً.

في تلك اللحظة لم ترَ إنكلترا جذّابة بشكل خاص، فقد كان يوماً كئيباً سماؤه ملبّدة تنذر بالمطر مع ريح قوية مزعجة. وفكرت غويندا وهي تتقدم في الطابور المنتظم باتجاه معبر الجوازات أن بلايموث ربما لا تكون أفضل مناطق إنكلترا.

لكن مشاعرها كانت مختلفة تماماً في صباح اليوم التالي عندما أشرقت الشمس وبدا المنظر من نافذتها فاتناً، ولم تعد الدنيا تتماوج وتتهادى بل لقد رسخت تماماً. ها هي إنكلترا أخيراً، وها هي تقف هنا، غويندا ريد، شابةً متزوجة في الحادية والعشرين من عمرها تقوم برحلاتها.

لم تكن عودة غايلز إلى إنكلترا مؤكدة؛ ربما تبعها بعد بضعة أسابيع وربما امتدت الفترة إلى ستة أشهر. كان اقتراحه أن تسبقه غويندا إلى إنكلترا وتبحث عن بيت مناسب، فقد فكر كلاهما أن من الجيد أن يكون لهما موئل ثابت دائم في مكان ما، ذلك أن عمل غايلز يتطلب دوماً قدراً من السفر، ويمكن لغويندا أن ترافقه أحياناً لكن الظروف قد لا تساعد على ذلك في أحيان أخرى.

لقد أحبّا فكرة امتلاك بيت، مكانٍ يكون ملكهما الخاص. وقد ورث غايلز مؤخراً بعض الأثاث من عمة له بحيث تجمعت الأسباب لتجعل الفكرة معقولة وعملية. وبما أن غويندا وغايلز كانا على درجة

من الغنى فإن المشروع لم تعترضه أية صعوبات.

كانت غويندا قد اعترضت في البداية على اقتراح اختيارها البيت بمفردها وقالت: ينبغي أن نصنع ذلك معاً.

لكن غايلز قال ضاحكاً: ليست لي خبرة كبيرة بالبيوت، ولو أعجبكِ بيتٌ ما فسوف يعجبني بالتأكيد. مع حديقة صغيرة طبعاً، على أن لا يكون من تلك الأنواع الحديثة المخيفة ولا يكون كبيراً جداً. وفكرتي أن يكون في مكان ما على الساحل الجنوبي أو أن لا يكون -في كل الأحوال- متوغلاً كثيراً داخل البلاد.

سألته غويندا: هل في ذهنك أي مكان معين؟

فأجابها غايلز بالنفي. كان قد تيتم صغيراً (مثلها تماماً) وتنقّل بين عدة أقارب لقضاء العطلات، لذلك لم يكن لديه أي ارتباط خاص بأي بقعة معينة.

سيكون البيت من اختيار غويندا إذن، فلو كانت ستنتظره حتى يتمكنا من اختيار المنزل معاً فماذا يحدث لو تأخر ستة أشهر؟ ماذا ستفعل غويندا بنفسها كل هذا الوقت؟ هل تبقى متسكعة في الفنادق؟ لا، كان عليها أن تجد بيتاً وتستقر فيه.

وعلقت غويندا قائلة: أنت تريدني أن أقوم بالعمل كله!

لكنها أحبت فكرة العثور على بيت وتحضيره وجعله دافئاً مريحاً والسكنى فيه بانتظار عودة غايلز. لقد تزوجا منذ ثلاثة أشهر فقط، وهي تحبه حباً جماً.

* * *

طلبت غويندا إفطاراً لغرفتها، وبعد الإفطار رتبت خططها وانطلقت من الفندق. أمضت يوماً في مشاهدة معالم بلايموث التي أعجبتها، وفي اليوم التالي استأجرت سيارة دايملر مريحة مع سائق وبدأت رحلتها عبر إنكلترا.

كان الطقس جيداً فاستمتعت بجولتها، ورأت العديد من المساكن المعروضة في منطقة ديفونشاير ولكنها لم تشعر بأن أياً منها كان المنزل المطلوب تماماً، ولم تكن في عجلة من أمرها فقررت الاستمرار في بحثها. لقد تعلمت أن تقرأ ما بين السطور في الأوصاف الحماسية التي يضعها وكلاء العقارات، ووفّرت على نفسها عدداً من جولات المعاينة العقيمة.

بعد نحو أسبوع وفي أمسية أحد أيام الثلاثاء انحدرت السيارة بهدوء في الطريق الملتوي حول التلال باتجاه ديلماوث، وفي ضواحي ذلك المَصِيف الذي ما زال ساحراً عبرت السيارة لوحة «للبيع»، حيث بدت من خلال الأشجار لمحة لبيت أبيض فكتوري الطراز. وشعرت غويندا فوراً بخفقة إعجاب يكاد يكون إدراكاً وتمييزاً؛ هذا هو بيتها! كانت متأكدة من ذلك. بوسعها أن تتصور الحديقة والنوافذ الطويلة... كانت واثقة أن هذا البيت هو ما كانت تبحث عنه تماماً.

كان الوقت متأخراً فأوت إلى فندق «رويال كلارنس»، وفي صباح اليوم التالي ذهبت إلى مكتب العقار الذي كُتب اسمه على لوحة البيع.

وقفت الآن وقد تسلّحت بإذن لمعاينة المنزل في غرفة الاستقبال

الطويلة ذات الطراز القديم بنافذتَيها المطلتين على مَصطبة حَجَرية تقع أمامها كومة صخرية اصطناعية تناثرت عليها شُجيرات مُزهِرة وامتدت خلفها مساحة عشبية، ومن خلال الأشجار في آخر الحديقة كان يمكن رؤية البحر.

فكرت غويندا مع نفسها قائلة: إنه منزلي، إنه بيتي؛ أشعر منذ الآن وكأنني أعرف كل ركن فيه.

فُتح الباب وظهرت امرأة طويلة القامة كئيبة المظهر مصابة بالرشح، ودخلت وهي تنشق بأنفها. قالت غويندا: السيدة هينغريف؟ لديّ إذن من السادة في شركة غالبرايث وبيندرلي. أخشى أن يكون الوقت مبكراً.

جاملتها السيدة هينغريف قائلة إن الوقت مناسب، ثم بدأت الجولة في المنزل.

نعم، كان مناسباً تماماً وليس بالغ الضخامة. صحيح أنه قديم الطراز قليلاً، لكنها وغايلز يمكن أن يجهّزا حماماً آخر أو حمامين، كما يمكن تحديث المطبخ الذي يحوي -لحسن الحظ- موقداً غازياً حديثاً، فإذا ما أضيف مجلى جديد وتجهيزات حديثة...

ومن خلال خطط غويندا ومشاغلها مضى صوت السيدة هينغريف رَتيباً ضعيفاً وهو يسرد تفاصيل المرض الأخير الذي ألمّ بالرائد الراحل هينغريف. كانت عائلة السيدة هينغريف تعيش كلها في كِنْت وكانت هي توّاقة لأن تذهب وتستقر قربها، وكان الرائد مغرماً جداً بديلماوث وكان سكرتيراً لنادي الغولف لعدة سنوات، ولكنها هي...

كان نصف عقل غويندا يتولى إصدار الأصوات المطلوبة للمواساة والتعاطف والتفهم: "نعم، طبعاً... فظيع بالنسبة لك... هذا طبيعي جداً... نعم، رعاية البيوت هي هكذا بالفعل... طبعاً... أكيد أنك كنت كذلك..." أما النصف الآخر من عقلها فقد كان محموماً بالأفكار: خزانة للبياضات والشراشف هنا، أظن... نعم، غرفة مزدوجة. منظر رائع على البحر، سيحبّه غايلز. والحمام، أظن أن للحمام حاشية من خشب الماهوغني. آه، نعم، ما أروعه! والمغطس في وسطه؟ لن أغيّره، إنه قطعة أثرية. يا له من حمام ضخم! بوسع المرء أن يرسم على الحواشي الخشبية أشجار تفاح ومراكبَ مُبحرة وبطاً سابحاً، ويمكنك أن تشعر أنك في البحر، نعم. وسنجعل من تلك الغرفة الخلفية الاحتياطية المظلمة حمّامين عصريين فعلاً، وينبغي تمديد الأنابيب بشكل جيد فوق المطبخ وإبقاء هذا الحمام كما هو تماماً...

كانت السيدة هينغريف تقول: ذات الجنب... وتطورت في اليوم الثالث إلى ذات الرئة المزدوجة...

وأجابتها غويندا: يا له من أمر فظيع! ولكن ألا توجد غرفة نوم أخرى في نهاية هذا الممر؟

كان هناك غرفة بالفعل، وكانت الغرفة من ذلك النوع الذي تخيلته تماماً، تكاد تكون مستديرة وفيها نافذة كبيرة مقوّسة. سيكون عليها أن ترتبها طبعاً. صحيح أنها كانت في حالة جيدة تماماً، ولكن ما الذي يدفع أناساً كالسيدة هينغريف إلى اختيار هذا النوع من طلاء الجدران ذي اللون الآجرّي الباهت؟

عادت المرأتان عبر الممر، وتمتمت غويندا بتدقيق: ستة غرف، أو سبعة إذا حسبنا الغرفة الصغيرة والعلّيّة.

كانت الألواح الخشبية تصدر صريراً ضعيفاً تحت قدميها، وشعرت أنها هي التي سكنت هنا وليس السيدة هينغريف! شعرت أن السيدة هينغريف كانت مجرد متطفلة، مجرد امرأة تطلي جدران الغرف باللون الآجرّي وتحب الأفاريز المنقوشة برسوم النباتات المتسلقة في غرفة استقبالها. وألقت غويندا نظرة على الورقة المطبوعة في يدها، التي تحتوي على تفاصيل العقار والسعر المطلوب.

في غضون الأيام الماضية باتت غويندا مطّلعة بشكل جيد على أسعار المنازل. لم يكن المبلغ المطلوب كبيراً، رغم أن المنزل كان بحاجة إلى قدر معين من التحديث بالطبع. وقد لاحظت عبارة «قابل للتفاوض». لا بد أن السيدة هينغريف تتوق للذهاب إلى كِنْت والسكن قرب عائلتها.

كانتا تهمّان بنزول الدّرَج عندما شعرت غويندا فجأة بموجة من الرعب الغامض تجتاحها. كان إحساساً مقزّزاً ومضى بنفس السرعة التي جاء فيها! ومع ذلك فقد ترك خلفه فكرة جديدة.

سألت غويندا: هل هذا المنزل مسكون بالأرواح؟

نظرت السيدة هينغريف التي كانت تسبقها بدرجة أدنى، وكانت قد وصلت في قصتها إلى اللحظة التي كان فيها الرائد هينغريف يدنو من مَنيّته بسرعة. نظرت وكأنها تشعر بالإهانة وقالت: لا، لم أرَ شيئاً من هذا القبيل يا سيدة ريد. لماذا؟ هل قال لك أحدٌ شيئاً من هذا النوع؟

سألتها غويندا: ألم تشعري أنت أو تري أي شيء من ذلك قط؟ ألم يَمُت أحدٌ هنا؟

ثم فكرت بأنه سؤال غير موفق. لقد جاء متأخراً لحظات قليلة لأنه يفترض أن الرائد هينغريف...

قالت السيدة هينغريف بإصرار: لقد توفي زوجي في مشفى سينت مونيكا.

- آه طبعاً، لقد أخبرتِني بذلك.

ثم تابعت السيدة هينغريف بنفس الأسلوب الفاتر الهادئ: يُفترَض أن هذا البيت بُني قبل مئة سنة، ومن الطبيعي أن تكون قد حدثت حالات وفاة فيه خلال تلك المدة. لكن الآنسة إلوورثي (التي اشترى زوجي العزيز منها هذا المنزل قبل سبع سنوات) كانت في حالة صحية ممتازة، بل كانت في الحقيقة تخطط للسفر إلى الخارج، ولم تأتِ على ذكر أي وفَيَات في عائلتها.

أسرعت غويندا لتهدئة السيدة هينغريف المكتئبة. كانتا قد عادتا إلى غرفة الاستقبال في تلك اللحظة، وكانت تلك غرفة هادئة رائعة يسود فيها ذلك الجو ذاته الذي تشتهيه غويندا. عندئذ بدا ذعرها الخاطف مسألة غامضة غير مفهومة. ما الذي انتابها؟ لم يكن في المنزل أي عيب.

استأذنت غويندا السيدة هينغريف أن تُلقي نظرة على الحديقة، ثم خرجت عبر الباب الزجاجي إلى المصطبة. وفكرت وهي تنزل من المصطبة إلى الأرضية العشبية أنه ينبغي وجود دَرَج هناك، ولكن

بدلاً من الدرج رأت شُجيرة فورسيثيا ضخمة مرتفعة. كانت في ذلك المكان بالذات وقد تجاوزت حجمها الطبيعي وسدّت كل إطلالة على البحر.

هزّت غويندا رأسها؛ سوف تغيّر ذلك كله.

مضت خلف السيدة هينغريف عبر المصطبة، وانحدرت بضع درجات في طرفها الأخير إلى الأرض العشبية. لاحظت أن الكومة الصخرية الاصطناعية كانت مهمَلة بحيث نمت نباتاتها أكثر من المطلوب وصارت معظم الشجيرات المزهرة عليها بحاجة إلى تقليم. وتمتمت السيدة هينغريف معتذرة بأن الحديقة قد أُهملت لأنها لم تكن قادرة على توظيف أكثر من رجل يأتي مرتين في الأسبوع، وكان لا يأتي في أغلب الأحيان.

وأخيراً عاينت غويندا حديقة المطبخ الخلفية المناسبة رغم صغرها، ثم عادت إلى المنزل مع السيدة هينغريف. شرحت لها غويندا بأن ثمة بيوتاً أخرى عليها أن تراها وأنها رغم أنها أحبت «هِلْسايد» كثيراً (ويا له من اسم لهذا المنزل!) إلّا أنها لا تستطيع اتخاذ قرار فوري، فودّعتها السيدة هينغريف بنظرة باهتة وبنشقة من أنفها.

عادت غويندا إلى وكلاء البيت وقدّمت عرضاً نهائياً خاضعاً لتقرير مسّاح الأراضي، ثم أمضت بقية الصباح تتمشى في ديلماوث. كانت بلدة صغيرة ساحلية رائعة قديمة الطراز، وكان في طرفها الآخر البعيد الحديث فندقان جديدان وبعض الشاليهات المستحدَثة، ولكن التشكيل الجغرافي للساحل الذي تمتدّ التلال من خلفه أنقذ ديلماوث من التوسع المفرط.

تلقت غويندا بعد الغداء مكالمة هاتفية من الوكلاء تقول إن السيدة هينغريف قَبِلت عرضها، فمضت غويندا إلى مكتب البريد تعلو شفتَيها ابتسامةُ فوز وأرسلت برقية إلى غايلز: «اشتريت بيتاً. مع حبي. غويندا».

ثم قالت لنفسها: سوف يسعده هذا كثيراً ويريه أنني لستُ مَن يدع الفرصة تمضي دون المسارعة إلى اقتناصها.

* * *

الفصل الثاني
ورق الجدران

-١-

مضى شهر وانتقلت غويندا إلى «هيلسايد»، وخرج أثاث عمة غايلز من مخزنه ورُتِّبَ في أنحاء المنزل. كان أثاثاً ذا نوعية قديمة جيدة باعت غويندا منه خزانتَي ملابس شديدتَي الضخامة، ولكن الباقي توزّع بشكل مناسب جميل منسجم مع البيت.

وُضِعت في غرفة الاستقبال طاولتان صغيرتان زاهيتان مرصعتان بعرق اللؤلؤ رُسمت عليهما قلاع وأزهار، كما كان هناك مكتب أنيق صغير ومكتب من خشب الورد ومنضدة أريكة من خشب الماهوغاني. أما المقاعد المريحة فقد وزعتها غويندا على غرف النوم المختلفة، واشترت لها ولغايلز مقعدين ضخمين وثيرَين مريحَين جداً ليوضعا قرب الموقد، فيما وضعت الأريكة الطويلة الضخمة قرب النوافذ. أما الستائر فقد اختارت غويندا لها قماشاً قطنياً قديم الطراز ذا لون أزرق باهت رُسِمت عليه جِرار جميلة عليها ورود وطيور صُفر. وهكذا صارت الغرفة مناسبة تماماً فيما رأت.

ومع ذلك فإنها لم تستقرّ بعد، إذ ما يزال العمال في البيت. كان ينبغي أن يفرغوا من عملهم ويغادروا، ولكن غويندا قدّرت بشكل صائب أنهم لن يذهبوا حتى تذهب هي بنفسها لتقيم في المنزل.

انتهت التغييرات في المطبخ وكادت تنتهي في الحمامين الجديدين، وكان على غويندا أن تنتظر قليلاً قبل إجراء المزيد من أعمال الديكور، فقد أرادت بعض الوقت حتى تتذوق بيتها الجديد وتقرر الألوان التي تريدها لغرف النوم. لقد كان البيت في وضع جيد تماماً ولا حاجة لصنع كل شيء على الفور.

بعد ذلك وظّفت في المطبخ سيدة اسمها كوكر، وهي امرأة تجمع إلى دماثتها وتلطفها شيئاً من التعالي أو الغطرسة مما خفّف من اندفاع غويندا الودّي المبالَغ فيه، إلّا أنها سرعان ما استرخت وتخلّت عن هذه النزعة لدى فهمها لغويندا وتعرفها على طباعها الحقيقية المريحة.

في ذلك الصباح بالذات وضعت السيدة كوكر صينية الإفطار على ركبتي غويندا وهي تجلس في فراشها، ثم علقت حازمة: عندما لا يكون السيد في البيت تفضّل المرأة أن تتناول إفطارها في السرير.

أحنت غويندا رأسها لهذه القاعدة التي يفترض أنها قانون إنكليزي، ثم تابعت السيدة كوكر وهي تشير إلى البيض: إنه بيض مخفوق هذا الصباح. لقد قلتِ شيئاً عن السمك المدخَّن، ولكن لا أظنك ترغبين بتناوله في غرفة النوم فهو يخلّف رائحة سيئة. سأعدّه لك على العشاء مع الخبز المحمّص.

- آه، شكراً لك يا سيدة كوكر.

ابتسمت السيدة كوكر بلطف واستعدت للانسحاب.

لم تكن غويندا تشغل غرفة النوم الكبيرة المزدوجة، فهذا الأمر يمكن تأجيله حتى عودة غايلز. لقد اختارت -بدلاً من ذلك- الغرفة الأخيرة ذات الجدران المستديرة والنافذة المقوّسة، وهي غرفة أشعرتها بالسعادة والاطمئنان. وقد علّقت باندفاع وهي تجيل نظرها قائلة: أنا أحب هذه الغرفة فعلاً.

أجالت السيدة كوكر نظرها باهتمام وقالت: إنها غرفة رائعة رغم صغرها، وأظن -نظراً إلى وجود القضبان على النافذة- أنها كانت غرفة طفل في يوم ما.

- لم يخطر لي هذا الخاطر من قبل. نعم، ربما كانت كذلك.

قالت السيدة كوكر لدى انصرافها وفي صوتها مغزى ضمني: "آه، حسناً". وبدت وكأنها تقول: مَن يدري؟ عندما يأتي السيد إلى البيت فربما احتجنا إلى غرفة طفل.

تورد وجه غويندا وأجالت نظرها في الغرفة: غرفة طفل؟ نعم، من شأنها أن تكون غرفة طفل رائعة. وبدأت تؤثّث في عقلها: خزانة دمى هناك قرب الجدار، وخزائن صغيرة فيها ألعاب، ونار تشتعل ببهجة في الموقد مع واقية طويلة حوله، وأشياء معلقة في قضبان تلك الواقية. ولكن ليس بوجود هذا الجدار ذي اللون الآجرّي البشع... لا، سوف تضع ورق جدران زاهياً، ورقاً ملوناً بهيجاً منقوشاً بباقات قليلة من زهر الخشخاش تتداخل مع باقات أزهار القَنْطريون الزرقاء. نعم، سيكون ذلك الورق جميلاً، سوف تسعى للعثور على ورق جدران كهذا.

شعرت أنها واثقة أنها شاهدت من قبلُ ورقاً من هذا النوع في مكان ما.

لن تكون ثمة حاجة لأثاث كثير في هذه الغرفة، ففي أصل الجدار خزانتان مَبنيتان، لكن إحداهما (تلك التي في الزاوية) كانت مقفلة وقد ضاع مفتاحها، والحقيقة أن الخزانة مع الجدار كله قد تم طلاؤهما بحيث بدا شكلها وكأنها لم تُفتَح منذ سنين طويلة. لا بد أن تطلب من العمال أن يفتحوها قبل مغادرتهم، فليس لديها مكان لكل ملابسها على أية حال.

كانت تشعر بمزيد من الألفة في كل يوم تقضيه في «هِلْساید». وسمعت نحنحة خشنة وسعلة قصيرة جافة عبر نافذة غرفتها فأسرعت في تناول إفطارها، فلا بد أنه فوستر البستاني المزاجي الذي يعمل في بعض الأيام عندما يحلو له، والذي لم يكن دوماً وفياً بمواعيده. لا بد أنه أتى اليوم كما وعد.

غسلت غويندا يديها وارتدت ثيابها: سترة وتنّورة صوفيتين، وأسرعت إلى الحديقة. كان فوستر يعمل خارج نافذة غرفة الاستقبال، وكان أول عمل طلبته منه غويندا هو شق ممر يعبر منحدِراً الكومةَ الصخرية الاصطناعية في هذه النقطة. كان فوستر قد اعترض وقتها مشيراً إلى أن ذلك يعني إزالة شُجَيرة الفورسيثيا وشجيرات الليلك هناك، ولكن غويندا كانت عنيدة، وقد أصبح الآن متحمساً تقريباً لمهمته.

حياها بضحكة وقال: ها نحن نعود إلى الأيام الخوالي يا آنسة (كان يصر على أن يدعوها آنسة).

- الأيام الخوالي؟ كيف؟

ضرب فوستر بمجرفته وقال: لقد وجدت الدرجات القديمة. انظري، لقد كانت هنا... تماماً كما تريدينها الآن، ثم قام شخص ما بتغطيتها والزراعة فوقها.

- كان هذا العمل في غاية الغباء، فلا بد من فسحة من خلال الأشجار تؤدي إلى المرجة العشبية وتسمح بإطلالة على البحر من نافذة غرفة الاستقبال.

لم يكن فوستر واثقاً من ضرورة وجود فسحة، ولكنه أبدى موافقة حَذِرة متذمّرة وقال: أنا لا أقول إن هذا لن يكون تحسيناً، فهو يمنحك إطلالة وتلك الشجيرات تجعل غرفة الاستقبال معتمة... ومع ذلك فقد كانت تلك الشجيرات تنمو بشكل ممتاز. لم أرَ أبداً شُجيرة فورسيثيا أكثر نشاطاً من هذه، ولعلمك فإنها كبيرة ولا يمكن نقلها إلى مكان آخر.

- آه، أعرف، ولكن هذا أجمل بكثير.

حك فوستر رأسه وقال: حسناً، ربما كان أجمل.

فأجابت غويندا وهي تهز رأسها: "إنه هكذا بالفعل". ثم سألته فجأة: مَن سكن هنا قبل عائلة هينغريف؟ لم تسكن عائلة هينغريف طويلاً هنا، أليس كذلك؟

- لنحو ست سنوات، وهم لم يكونوا من النوع الذي ينتمي إلى هذا المكان. سألتِ عمّن كان قبلهم؟ الأخوات إيلوورثي، مجموعة من العوانس، وقبلهن... دعيني أتذكر. نعم، كانت السيدة فينديسون.

آه، لقد كانت بنت عائلة نبيلة بالفعل. نعم، كانت تنتمي إلى هذا المكان بمعنى الكلمة، وقد كانت تعيش هنا قبل أن أولد.

سألته غويندا: وهل ماتت هنا؟

- بل ماتت في مصر أو في مكان آخر لا أتذكره، ولكنهم أحضروها إلى الوطن ودُفنت في مقبرة الكنيسة. هي التي زرعت شجرة المنغوليا تلك وبقية الشُّجيرات هنا، فقد كانت مغرمة بالأشجار المزهرة. ولم يكن أيٌّ من تلك البيوت الجديدة المَبنية على طول التلة قائماً وقتها؛ كانت المنطقة ريفية وليس فيها سينما ولا أي من هذه المتاجر الجديدة أو ذلك المتنزَّه في المقدمة.

حملت نبرتُه استنكارَ المسنين لكل تجديد، ثم قال وهو يشخر بازدراء: تغييرات... لا شيء سوى التغييرات!

قالت غويندا: أظن أنه لا بد للأشياء أن تتغير، ومع ذلك ففي هذه الأيام كثير من التحسن، أليس كذلك؟

قال: هكذا يقولون، لكن أنا لم ألاحظ شيئاً... تغييرات!

ثم أشار نحو السياج الشجري على يساره، حيث بدت من خلاله قطعة من أحد المباني، وقال: كان هذا مستشفى فيما مضى. نعم، مكان جميل وذو موقع مناسب. ثم أنشؤوا بناء ضخماً يبعد نحو ميل خارج البلدة ويستغرق الوصول إليه عشرين دقيقة سيراً على الأقدام أو يكلف ثلاثة بنسات في الحافلة، وجعلوا المستشفى هناك. ثم أشار باتجاه السياج مرة أخرى وأضاف: إنها مدرسة بنات الآن، لقد انتقلت المدرسة إلى هذا المبنى منذ عشر سنوات... تغييرات

طول الوقت. يأخذ الناس بيتاً في هذه الأيام ويعيشون فيه عشر سنوات أو نحوها ثم يتركونه ويمضون... عدم استقرار. ما الخير في ذلك؟ لا يمكنك غرس أشجار بشكل مناسب ما لم تتمكني من استشراف حياتك مسبقاً.

نظرت غويندا إلى شجرة المنغوليا بشغف وقالت: مثل السيدة فينديسون.

- آه، كانت امرأة من النوع الجيد. جاءت إلى هنا عروساً، نعم، وربَّت أطفالها وزوّجتهم ودفنت زوجها، وكانت تستقبل أحفادها هنا في مواسم الصيف، ثم غادرت في النهاية عندما أصبحت في الثمانين من عمرها.

ظهر استحسان حار في نبرة فوستر. ثم عادت غويندا إلى المنزل وهي تبتسم قليلاً، وهناك قابلت العمال وعادت إلى غرفة الاستقبال حيث جلست إلى المكتب وكتبت بعض الرسائل. وكان بين الرسائل التي بقيت تنتظر إجابة منها رسالة من بعض أقارب غايلز الذين يقطنون لندن، وكانوا يرجونها في كل مرة تنوي فيها الذهاب إلى لندن أن تأتي وتقيم معهم في منزلهم في تشيلسي.

كان ريموند ويست روائياً معروفاً (وإن لم يكن شعبياً) وكانت زوجته جوان رسّامة. سيكون ممتعاً أن تذهب وتزورهم، مع أنهم ربما ظنوها من النوع المعادي للثقافة. وفكرت غويندا بأنها لا هي ولا غايلز يملكان أي ثقافة رفيعة.

دوّى قرع جرس عالٍ بفخامة من الصالة. كان الجرس المحاط بالكثير من الخشب الأسود المنقوش واحداً من الممتلكات الثمينة

لعمة غايلز، وبدا أن السيدة كوكر تستمدّ متعة خاصة من قرعه، فقد كانت تقرعه دوماً لفترة طويلة.

وضعت غويندا يديها على أذنيها ونهضت، فمشت بسرعة عبر غرفة الاستقبال باتجاه الجدار الملاصق للنافذة المقابلة، ثم توقفت فجأة مع صرخة انزعاج خافتة. لقد كانت تلك هي المرة الثالثة التي تفعل فيها ذلك. بدا وكأنها تتوقع أن تكون قادرة على اختراق ذلك الجدار المصمَت انتقالاً إلى غرفة الطعام المجاورة!

عادت أدراجها عبر الغرفة فخرجت إلى الصالة الأمامية، ومضت حول زاوية جدار الاستقبال وصولاً إلى غرفة الطعام. كانت تلك استدارة طويلة وستكون مزعجة في الشتاء، إذ إن الصالة الأمامية كانت عرضة للتيارات الهوائية، وكانت التدفئة المركزية الوحيدة موجودة في غرفة الاستقبال وغرفة الطعام وغرفتَي نوم في الطابق العلوي.

وفكرت غويندا وهي تجلس على طاولة الطعام الرائعة التي اشترتها مؤخراً بدل طاولة العمة لافيندر الضخمة المربعة: لا أرى ما يمنع من فتح باب وسط الجدار ليصل بين غرفة الاستقبال وغرفة الطعام. سأتحدث مع السيد سيمز بشأن ذلك عندما يأتي عصر اليوم.

كان السيد سيمز هو البنّاء والقائم بأعمال الديكور، وهو رجل مُقْنع في أواسط عمره ذو صوت أجش ودفتر ملاحظات صغير يحمله دوماً معه جاهزاً لتدوين أية فكرة ثمينة قد تخطر لزبائنه. ولذلك فقد كان السيد سيمز لدى استشارته حريصاً على تقدير الفكرة، إذ قال: هذا أسهل شيء في العالم يا سيدة ريد، وهو تحسين عظيم إن جاز لي القول.

قالت غويندا التي أصبحت بمرور الوقت ترتاب قليلاً بموافقات السيد سيمز وحماسته، حيث كانت تشعر بشيء من عدم الارتياح إزاء نفقات إضافية لم ترد في تقديراته الأولية: هل سيكلف هذا الأمر كثيراً؟

- مجرد مبلغ بسيط.

قالها بصوته الأجش متساهلاً ومُطَمئِناً. ولكن غويندا بدت أكثر ارتياباً من أي وقت مضى، فقد كانت مبالغ سيمز البسيطة تلك هي التي تعلّمت غويندا أن لا تثق بها، إذ إن تقديراته الأولية المباشرة كانت معتدلة بعناية.

قال السيد سيمز مستميلاً: سأخبرك ماذا سأفعل يا سيدة ريد، سأجعل تيلر يلقي نظرة عندما ينتهي من غرفة الملابس بعد ظهر اليوم، وعندها يمكنني أن أعطيك فكرة دقيقة، فالأمر يعتمد على نوع الجدار.

وافقت غويندا، ثم كتبت إلى جوان ويست تشكرها على دعوتها وتقول إنها لن تستطيع مغادرة ديلماوث في الوقت الحاضر لأنها تريد أن تشرف على العمال. ثم خرجت بعدها لتتمشى أمام البيت وتستمتع بنسيم البحر، ثم عادت إلى غرفة الاستقبال حيث وقف تيلر كبير العاملين لدى السيد سيمز عند زاوية الغرفة وحيّاها بابتسامة، ثم قال: لن تكون في هذا الأمر صعوبة يا سيدة ريد. لقد كان هناك باب من قبل، نعم، ويبدو أن أحدهم لم يعجبه فسدّه بالجص.

دُهِشت غويندا لسماع ذلك الخبر، وحدّثت نفسها: يا لغرابة هذا الأمر! لقد شعرت دوماً أن باباً يوجد هنا!

وتذكّرت الطريقة الواثقة التي مشت بها إلى هذا الجزء من الجدار وقت الغداء، وشعرت فجأة (وهي تتذكر ذلك) بقشعريرة خفيفة وبشيء من القلق. عندما يمعن المرء النظر في ذلك يراه أمراً غريباً حقاً. لماذا شعرت بكل تلك الثقة أن ثمة باباً هناك؟ لم يكن هناك أي مؤشر على وجوده في الجدار الخارجي، فكيف خمّنت (بل عرفت) أن الباب موجود هنا تماماً؟ كان من المناسب طبعاً وجود باب يفضي إلى غرفة الطعام، ولكن لماذا كانت تذهب دوماً دون خطأ إلى تلك البقعة المحددة بعينها؟ كان يمكن لأي مكان في الجدار الفاصل أن يكون مناسباً لوجود باب تماماً كهذا الموقع، ومع ذلك فقد كانت تذهب دوماً وبشكل آلي وهي تفكر بأمور أخرى إلى ذلك المكان نفسه الذي كان الباب موجوداً فيه من قبل!

وتساءلت غويندا بقلق: هل هي حاستي السادسة أم ما الأمر؟

لم يكن فيها أي من المظاهر الروحية الخارقة ولو في حدوده الدنيا، ولم تكن من ذلك النوع من الناس. أم هل كانت كذلك بالفعل؟ وذلك الممر في الخارج الممتد من المصطبة نزولاً عبر مجموعة الشجيرات إلى المرج العشبي، هل عرفت بطريقة ما أنه كان موجوداً عندما أصرّت على شقّه في ذلك المكان بعينه؟

وتساءلت غويندا بقلق مرة أخرى: إمّا أن أكون خارقة بعض الشيء أو أن للأمر علاقة بالبيت نفسه!

لماذا سألت السيدة هينغريف في ذلك اليوم إن كان البيت مسكوناً؟ لم يكن مسكوناً، بل إنه بيت لطيف ولا يمكن أن يكون فيه عيب، حتى إن السيدة هينغريف بدت مدهوشة تماماً من الفكرة...

أم كان هناك أثر للتحفظ أو التكتم والحذر في أسلوبها؟

هتفت غويندا في قرارة نفسها: يا إلهي، لقد بدأت أتخيل أشياء!

ثم أعادت عقلها بشيء من الجهد إلى النقاش مع تيلر فقالت: هناك أمر آخر أيضاً، إحدى الخزائن في غرفتي في الأعلى بابها موصد وملصق، وأريدك أن تفتحها.

صعد الرجل معها ففحص باب الخزانة ثم قال: لقد طُلي على هذه الحال عدة مرات. سأجعل العمال يفتحونه لك غداً إذا أردت.

وافقت غويندا، ومضى تيلر لسبيله.

* * *

في تلك الأمسية شعرت غويندا بأنها متحفّزة وعصبية المزاج. كانت -وقد جلست تحاول القراءة في غرفة الاستقبال- واعيةً لكل صرير يصدر عن الأثاث، وقد نظرت خلفها مرة أو مرتين وارتعدت. قالت لنفسها مراراً إنه لم يكن هناك شيء في حادثة الباب والممر؛ كانا مجرد مصادفتين، ولا شك أنهما كانا ناتجين عن المنطق السليم للأمور فقط.

شعرت بالعصبية بشأن مسألة صعودها إلى غرفتها للنوم، دون أن تعترف لنفسها بذلك، وعندما نهضت أخيراً وأطفأت الأنوار وفتحت الباب المفضي إلى الصالة وجدت نفسها خائفة من صعود الدرج! وفي عجلتها قفزت الدرج قفزاً وأسرعت عبر الممر وفتحت باب غرفتها، وبمجرد دخولها شعرت أن مخاوفها قد هدأت وسكنت.

أجالت بصرها في الغرفة بمودّة، فقد شعرت بالأمان هنا، بل وبالسعادة أيضاً. نعم، لقد أصبحت هنا الآن وأصبحت آمنة، وسألت نفسها: آمنة ممّن أيتها الغبية؟ حقاً كأنك ابنة ست سنوات يا غويندا!

أوت إلى فراشها وقد شعرت بالارتياح، وسرعان ما استغرقت في النوم.

* * *

في صباح اليوم التالي كان لديها عدة قضايا لتتابعها في المدينة، وعندما عادت كان قد حان وقت الغداء. قالت السيدة كوكر وهي تحضر السمك المقلي والبطاطا المهروسة والجزر: لقد فتح الرجال الخزانة في غرفة نومك يا سيدتي.

فأجابتها غويندا: آه، حسناً.

كانت جائعة فاستمتعت بغدائها، وبعدما شربت القهوة في غرفة الاستقبال صعدت إلى غرفة نومها في الطابق العلوي. عبرت الغرفة وفتحت باب الخزانة الركنية، ثم أطلقت فجأة صرخة ضعيفة مذعورة ووقفت تحدق بذهول.

داخل الخزانة ظهر ورق الجدران الأصلي القديم الذي كان قد غُطّي في أماكن أخرى بالطلاء المُصْفَرّ. كانت الغرفة قد اكتست ذات يوم بورق بهيج ونقشات أزهار، نقشات باقات من زهر الخشخاش الأحمر تتداخل مع باقات أزهار القنطريون الزرقاء!

-٢-

وقفت غويندا هناك تحدق لوقت طويل، ثم توجهت إلى السرير وجلست عليه وهي ترتجف لفرط الصدمة. ها هي تجد نفسها في بيت لم تدخله من قبل في بلد لم تزره من قبل، ومع ذلك فقد اضطجعت على السرير منذ يومين وتخيلت ورق جدران لهذه الغرفة بالذات، والورق الذي تخيلته تطابق تماماً مع الورق الذي أُلصق على الجدران ذات يوم!

عصفت في رأسها تفسيراتٌ جامحة: هل هي الرؤية إلى الأمام بدل الرؤية إلى الخلف؟

كان بوسعها أن تفسر ممر الحديقة والباب الداخلي بين غرفتَي الاستقبال والطعام من باب المصادفة، ولكن لا يمكن أن يكون هذا الأمر الأخير مصادفة، فلا يمكنك تخيل ورق جدران بمثل هذه النقشة المميزة ثم تجد ورقاً مطابقاً لما تخيلته! لا بد من تفسير، لكنه كان تفسيراً غريباً يربكها ويرعبها. نعم، يرعبها! فبين فَينة وأخرى كانت رؤيتها تمتدّ إلى الوراء، بعيداً إلى الوراء، إلى حالة سابقة لهذا المنزل. وربما رأت في لحظة ما شيئاً إضافياً، شيئاً لا تريد رؤيته. أرعبها المنزل، ولكن هل كان السبب هو المنزل أم هي نفسها؟ لم تحبّ أن تكون واحدة من أولئك الذين **يَرَون** أشياء!

استنشقت نفَساً طويلاً، ثم ارتدت قبعتها ومعطفها وانسلّت من المنزل بسرعة. وفي مكتب البريد أرسلت البرقية التالية: «ويست، ١٩ ساحة آدوي، تشيلسي، غيّرت رأيي وسآتيكم غداً. غويندا».

* * *

الفصل الثالث
غطوا وجهها...

بذل ريموند ويست وزوجته كل ما بوسعهما ليجعلا زوجة الشاب غايلز تشعر بالترحاب، ولم يكن ذنبهما أن غويندا أحسّت في سرّها أن انزعاجهما يفوق ترحابهما. ريموند بشكله الغريب الذي يشبه غراباً ينقضّ على فريسته وشعره الطويل مثل مكنسة، والارتفاعات المفاجئة في صوته في أثناء أحاديثه التي لا يمكن فهمها أبداً... كل ذلك جعل غويندا في حالة استغراب وعصبية. لقد بدا هو وزوجته جوان وكأنهما يتحدثان بلغة خاصة بهما. لم يسبق لغويندا أن حُشرت في جو ثقافي من قبل، وكانت كل مفردات هذا الجو غريبة عليها تماماً.

كانت غويندا ترتشف عصيراً بارداً قُدِّم إليها (وتمنت لو كان مكانه كوبٌ من الشاي بعد رحلتها المتعِبة) عندما قال ريموند: لقد خططنا لاصطحابك إلى عرض مسرحي وبعض الحفلات الأخرى.

ظهرت البهجة على وجه غويندا فوراً، فمضى ريموند قائلاً: ثمة حفلة باليه الليلة في مسرح سادلر ويلز، وغداً لدينا حفلة عيد

ميلاد لعمتي جين المدهشة، وهناك مسرحية «دوقة مالفي» ويؤدي دورَ البطولة فيها جون غليغود، وفي يوم الجمعة لا بد لك من رؤية مسرحية «الذين مشوا بلا أقدام» المترجَمة عن الروسية، وهي أكثر الأعمال الدرامية أهمية خلال السنوات العشرين الأخيرة وتُعرَض على مسرح ويتمور الصغير.

عبّرت غويندا عن امتنانها لهذه الخطط الموضوعة لتسليتها، رغم أنها جفلت قليلاً من مشروع مسرحية «الذين مشوا بلا أقدام»، فالمشكلة الوحيدة لمثل تلك المسرحيات المهمة هي أنك لا تستمتع بها عادة.

قال ريموند: ستحبين عمتي جين كثيراً، فهي امرأة يمكنني وصفها بأنها قطعة أثرية. إنها فكتورية حتى النخاع، وهي تعيش في قرية من تلك القرى التي لا يحدث فيها شيء أبداً... تماماً كبركة راكدة.

قالت زوجته: لقد حدث هناك شيء ذات يوم.

أجابها: كان ذلك مجرد دراما عاطفية فجّة لا براعة فيها.

ذكّرته جوان وهي تطرف بعينها قليلاً: لقد تمتعتَ بها كثيراً آنذاك.

قال بشيء من الكبرياء: إنني أتمتع أحياناً بلعب الكريكيت على الطريقة القروية.

- على أي حال لقد اشتهرت العمة جين من جراء جريمة القتل تلك.

- آه، إنها ذكية جداً، وهي تعشق المشكلات.

سألت غويندا: المشكلات؟

لوّح ريموند بيده وقال: كل أنواع المشكلات: لماذا أخذت زوجة البقال مظلتها إلى اجتماع الكنيسة في أمسية صحو؟ لماذا وُجد بعض الروبيان المخلل في المكان الفلاني؟ ما الذي حدث لرداء الكاهن؟... كل الحنطة تصب في طاحونة العمة جين، لذلك إن كانت لديك أية مشكلة في حياتك فضعيها أمامها يا غويندا وهي ستدلّك على الحل.

ضحك وضحكت غويندا أيضاً، ولكن ليس من كل قلبها.

في اليوم التالي حصل التعارف بينها وبين العمة جين (الآنسة ماربل). كانت الآنسة ماربل عجوزاً جذابة، طويلة وضعيفة وذات وجنتين محمرّتين وعينين زرقاوين، وكانت ذات أسلوب لطيف، بل متأنق، ولعينيها الزرقاوين بريقٌ خفيف في معظم الأحيان.

بعد تناول عشاء مبكر أعلنوا فيه ترحيبَهم بالعمة جين خرجوا جميعاً إلى «مسرح صاحب الجلالة»، وانضم إلى المجموعة رجلان آخران: فنان كهلٌ ومحامٍ شاب. كرّس الفنان الكهل نفسه لغويندا، فيما قسم المحامي الشابُ اهتمامه بين جوان والآنسة ماربل التي بدا أنه يستمتع بملاحظاتها كثيراً، ولمّا وصلوا إلى المسرح عُكِسَ هذا الترتيب، فقد جلست غويندا في وسط صف الكراسي بين ريموند والمحامي.

أطفئت الأنوار وبدأت المسرحية، وكان الأداء رائعاً جداً بحيث

استمتعت غويندا بالمسرحية تماماً، إذ لم تكن قد شاهدت من قبل عروضاً مسرحية من الطراز الأول.

اقتربت المسرحية من نهايتها ووصلت إلى تلك اللحظة حيث قمة الرعب، وجاء صوت الممثل بنبرة حادة وصوت صادح مشحوناً بحالة ذهنية مأساوية: **غطّوا وجهها ... إن عينيّ منبهرتان؛ لقد ماتت شابة**...

صرخت غويندا، ثم قفزت عن مقعدها واندفعت لتعبر الآخرين في طريقها إلى الممر بين الكراسي ثم إلى المخرج، ثم صعوداً عبر الدرج إلى الشارع. وحتى هناك لم تتوقف، بل اندفعت تمشي مرة وتركض أخرى في هلع أعمى في شارع هيماركيث. ولم تجد سيارة أجرة حتى وصلت إلى ساحة بيكاديللي، حيث لاحظت سيارة أجرة شاغرة تجوب المكان فأشارت إليها، وركبت فأعطت السائق عنوان البيت في تشيلسي.

أخرجت نقوداً بأصابع مضطربة فدفعت للسائق وصعدت الدرج. نظر إليها الخادم الذي فتح لها الباب بدهشة وقال: لقد عدت مبكرة يا سيدتي... هل أنت على ما يرام؟

- أنا؟ لا، نعم... لقد... لقد شعرت بالدُّوار.

- هل أحضر لك شيئاً؟ مشروباً ما؟

- لا، لا شيء؛ سأذهب إلى فراشي مباشرة.

ركضت صعوداً على الدرج لتتجنب المزيد من الأسئلة. نزعت ثياب الطريق وتركتها مكوَّمة على الأرض وارتدت ثوب

نومها واندسّت في فراشها، ولبثت هناك ترتجف وقلبها يضرب بقوة وعيناها معلقتان تحدقان بالسقف.

لم تسمع صوت وصول أحد في الطابق السفلي، ولكن بعد نحو خمس دقائق فُتح الباب ودخلت الآنسة ماربل. كانت تحمل زجاجتين من الماء الحار تحت ذراعها وفنجاناً في يدها.

اعتدلت غويندا في سريرها محاوِلةً وقف ارتجافها وقالت: آه يا آنسة ماربل! أنا آسفة جداً، لا أدري ماذا... كان ذلك فظيعاً بالنسبة لي. هل انزعجوا مني كثيراً؟

- لا تقلقي يا طفلتي العزيزة. غطّي نفسك الآن وأدفئي نفسك بزجاجات الماء الحار هذه.

- لكني لا أحتاج إلى زجاجة ماء حار.

- بل تحتاجينها. نعم، هذا جيد، والآن اشربي فنجان الشاي هذا.

كان الشاي حاراً وثقيلاً ومليئاً بالسكر، ولكن غويندا شربته مستسلمة. وبعدما صارت الرجفة أقلَّ حِدّةً قالت الآنسة ماربل: استلقي الآن ونامي، فقد أُصبت بصدمة. سنتحدث في الأمر عند الصباح فلا تفكري في أي شيء، أخلدي فقط إلى النوم.

ثم غطّتها وهي تبتسم وربتت عليها وخرجت من الغرفة.

كان ريموند في الأسفل يخاطب جوان بعصبية: ماذا دهى الفتاة؟ هل شعرت بمرض ما أم ماذا؟

- عزيزي ريموند، أنا لا أعلم. لقد صرخت فقط! أظن أن المسرحية كانت مروّعة قليلاً بالنسبة إليها.

- حسناً، إن ويبستر رهيب بعض الشيء في كتاباته بالطبع، ولكني لم أكن لأتصور...

قطع حديثَه عندما دخلت الآنسة ماربل الغرفة وسأل: أهي بخير؟

قالت الآنسة ماربل: نعم، أظن أنها بخير. لقد تلقت صدمة قوية.

- صدمة؟ لمجرد مشاهدة مسرحية تنتمي إلى عصر جيمس الأول؟

أجابته الآنسة ماربل بتأمل: لا بد أن يكون الأمر أكثر قليلاً من ذلك فيما أظن.

* * *

أُرسِل إفطار غويندا إليها في غرفتها، فشربت بعض القهوة وقضمت على مهل قطعةً صغيرةً من الخبز المحمَّص، وعندما نهضت ونزلت إلى الطابق السفلي كانت جوان قد ذهبت إلى مرسمها في حين أغلق ريموند عليه غرفة عمله، وكانت الآنسة ماربل وحدها تجلس قرب النافذة المطلة على النهر منهمكةً في حياكتها تماماً.

رفعت بصرها وابتسمت بهدوء عندما دخلت غويندا وقالت: صباح الخير يا عزيزتي، آمل أنك تشعرين بتحسن.

- آه، نعم؛ أنا في أحسن حال. لا أدري كيف وسعني أن أجعل

من نفسي بلهاء لهذه الدرجة ليلة أمس. هل... هل غضبوا مني؟

- لا يا عزيزتي، لقد تفهموا ذلك تماماً.

- تفهّموا ماذا؟

رفعت الآنسة ماربل عينيها عن حياكتها وقالت: لقد تفهّموا أنك تعرّضتِ لصدمة قوية ليلة أمس.

ثم أضافت بلطف: ألا يَحسن أن تخبريني بكل شيء عن الأمر؟

أخذت غويندا تذرع الغرفة جيئة وذهاباً بقلق ثم قالت: أظن أنه يحسن بي أن أزور طبيباً نفسياً.

قالت الآنسة ماربل: في لندن أخصائيون نفسيون ممتازون بالطبع، ولكن هل أنت متأكدة أن هذا ضروري؟

- حسناً، أعتقد أنني قد بدأت أُجَنّ... لا بد أنني بدأت أُجَنّ!

دخلت الغرفةَ خادمةٌ كهلة حاملةً برقية سلمتها إلى غويندا قائلة: يريد ساعي البريد أن يعرف إن كان لديك جواب يا سيدتي.

فتحت غويندا البرقية التي كان قد أعيد إبراقها من ديلماوث، وحدقت إليها قليلاً وكأنها لا تفهم ما فيها، ثم كوّرتها في يدها وقالت بشكل آلي: ليس لديّ جواب.

غادرت الخادمة الغرفة فتساءلت الآنسة ماربل: أرجو أن لا تكون أنباء سيئة يا عزيزتي.

- إنه غايلز، زوجي... سيكون هنا في غضون أسبوع.

كان صوتها مذعوراً وبائساً، فتنحنحت الآنسة ماربل قليلاً بلطف وقالت: حسناً، هذا أمر رائع جداً بالتأكيد، أليس كذلك؟

- هل هو كذلك عندما لا أكون واثقة إن كنت مجنونة أم عاقلة؟ إن كنت مجنونة فما كان عليّ أن أتزوج غايلز. والبيت... ليس بوسعي العودة إلى هناك. آه، إنني لا أدري ماذا أفعل.

دعتها الآنسة ماربل إلى الجلوس على الأريكة قائلة: اجلسي هنا الآن يا عزيزتي وأخبريني بكل شيء.

تقبّلت غويندا الدعوة بشعور من الارتياح، ثم روت القصة كلها بدءاً بأول مرة لمحت فيها منزل «هِلْسايد» وانتهاء بالأحداث التي حيّرتها في البدء ثم أقلقتها وأخافتها، ثم انتهت إلى القول: وهكذا شعرت بالرعب وفكرت في الحضور إلى لندن والابتعاد عن القصة كلها، ولكنني لم أستطع التخلص من الأمر... لقد تبعني. في الليلة الماضية...

أغمضت عينيها وبلعت ريقها وهي تتذكر، ولقنتها الآنسة ماربل بقولها: في الليلة الماضية؟

- ربما لا تصدقين... ستظنين أنني أصبت بالهستيريا أو أنني غريبة أو مجنونة... لقد حدث الأمر بشكل مفاجئ تماماً في نهاية المسرحية. لقد استمتعت بالمسرحية ولم أفكر بالبيت أبداً، ثم جاءني ذلك الشعور دون توقع عندما ردّد الممثل تلك الكلمات.

ردّدت بصوت منخفض مرتعش: «غطوا وجهها، إني عينيّ منبهرتان، لقد ماتت شابة»... في تلك اللحظة تماماً عاد عقلي إلى

هناك، إلى منزل «هِلْسايد»! كنت أقف على الدرج وأنا أنظر إلى الصالة عبر الدرابزين، ورأيتها ممدَّدة هناك مادّةً ذراعيها، ميتة! كان شعرها ذهبياً جداً ووجهها أزرق جداً جداً! كانت ميتة، مخنوقة، وكان شخصٌ يردّد تلك الكلمات بنفس تلك الطريقة الرهيبة من النشوة الخبيثة الشريرة. ورأيت يديه، رمادية متجعدة... ليستا يدين، بل براثن قرد! كان الأمر رهيباً... كانت ميتة!

سألت الآنسة ماربل بلطف: من التي كانت ميتة؟

وأتى الجواب آليّاً سريعاً: هيلين!

* * *

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا، ونأمُل أن تكون الصفحات التي قرأتها قد وفّرت لك قراءة ممتعة وعرَّفَتك بالرّواية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذه الرواية (وسواها من الروايات) من موقعنا مباشرة، ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو احتجت لأي مساعدة.

الأجيال
www.al-ajyal.com